المدرسة السياقية

التعريف:

المدرسة السياقية في العلاج الأسري هي اتجاه علاجي يركّز على العدالة، الثقة، والولاء داخل العلاقات الأسرية، ويعتبر أن المشكلات النفسية تنشأ حين يختلّ التوازن الأخلاقي في العلاقات بين الأجيال.

<الفكرة الجوهرية: "كل أسرة محكومة بنظام من العدالة المتبادلة، وعندما يُخلّ أحد الأطراف بالإنصاف أو الثقة، تنشأ الأعراض النفسية في أحد الأفراد أو الأجيال اللاحقة".

ثانياً: مؤسس المدرسة — إيفان بوسورمنيي–ناجي

طبيب ومعالج نفسي من أصل هنغاري (1920–2007).

عمل في الولايات المتحدة، وشارك في بدايات حركة العلاج الأسري.

رأى أن المقاربات النسقية كانت تركز على البنية أو التواصل، لكنها تغفل البعد الأخلاقي والضميري للعلاقات.

لذلك، أسّس "المدرسة السياقية" ليضيف إلى العلاج النسقي بُعدًا أخلاقيًا وإنسانيًا يركّز على العدالة والدَيْن العاطفي بين الأجيال.

ثالثاً: الأسس النظرية للمدرسة السياقية

تقوم المدرسة السياقية على أربعة أبعاد أساسية يرى "ناجي" أنها تحدّد العلاقات الأسرية:

البُعد	التوضيح
1.الحقائق الموضوعية	مثل الميلاد، المرض، الوفاة، الوضع الاقتصادي — هي معطيات واقعية تشكّل خلفية العلاقات.
2.العمليات النفسية	تجارب الأفراد، إدراكهم، مشاعرهم، دوافعهم الداخلية.
3.النمط التفاعلي	كيف يتفاعل الأفراد ضمن النظام الأسري، أي التواصل والسلوك المتبادل.
4.العدالة العلائقية	المحور المركزي في المدرسة السياقية: وهو مبدأ الإنصاف والتبادلية في العلاقات الإنسانية.

رابعاً: مفهوم العدالة العلائقية(Relational Ethics)

هو قلب النظرية السياقية.

يرى "ناجي" أن العلاقات الأسرية ليست مجرد تفاعلات نفسية، بل علاقات أخلاقية تتضمن ديونًا والتزامات متبادلة.

كل علاقة تقوم على العطاء والأخذ(Give and Take) ، وعندما يختلّ هذا التوازن، تظهر المشكلات.

<مثال:

إذا ضحّت الأم طيلة حياتها دون أن يُعترف بجهدها، أو إذا شعر الابن بالذنب تجاه والدٍ متسلّط، فسيظهر الخلل في شكل اضطرابات أو أعراض لدى الجيل التالي.

المبادئ الفرعية في العدالة العلائقية:

1.الاستحقاق:(Entitlement)

لكل فرد حق طبيعي في الرعاية والاحترام من أفراد أسرته.

2.الدَيْن:(Ledger of Obligation)

العلاقات تُسجّل في "دفتر غير مرئي" من الديون الأخلاقية (من أعطى؟ من أخذ؟ من ظلم؟ من ضحّى؟).

3.التوازن:(Balance)

الأسرة السليمة هي التي تسعى لإعادة التوازن في هذا الدفتر — أي أن تُردّ الديون المعنوية بطريقة عادلة.

4. الولاء (Loyalty):

شعور داخلي بالانتماء والالتزام نحو الأسرة (الآباء، الإخوة، الأجداد).

5. الانقطاعات في الولاء (Loyalty Conflicts):

تحدث عندما يُجبر أحد الأفراد على اختيار ولاء ضد آخر (مثلاً: بين الأب والأم، أو بين جيلين).

6. الثقة (Trustworthiness):

ركيزة العدالة، وهي ما يسمح باستمرار العلاقات الصحية بين الأجيال.

خامساً: المفاهيم الأساسية في النظرية السياقية

المفهوم	الشرح
دفتر العطاء والأخذ	رمز لحساب التبادلات الأخلاقية بين الأفراد داخل الأسرة.
الاستحقاق المدمر	عندما يحاول الفرد أن "يسترد حقه" بطريقة مدمّرة، كأن يظلم غيره ليعوّض ما فاته.
التقمّص الأبوي	عندما يتحمّل الطفل مسؤوليات الكبار لتعويض عجز الوالدين، فيفقد حقه في الطفولة.
الثقة	أساس العلاقة الأخلاقية؛ غيابها يولّد القلق أو السلوك التعويضي.
الإرث العلائقي	انتقال الديون والولاءات من جيل إلى جيل.
إعادة التوازن	الهدف العلاجي: إعادة العدالة والاعتراف والإنصاف بين الأطراف.

سادساً: مبادئ المدرسة السياقية في العلاج

1. العلاج يقوم على العدالة وليس على اللوم.

الهدف ليس تحديد "الفاعل"، بل استعادة التوازن الأخلاقي بين الأطراف.

2. الاعتراف المتبادل

يُشجَّع كل فرد على رؤية احتياجات الآخر واعترافه بما قدّمه أو تحمّله.

3. المسؤولية المشتركة.

كل فرد مسؤول عن دوره في استمرار أو حلّ الخلل الأخلاقي.

4. التركيز على الأجيال.

المشاكل لا تتوقف عند جيل واحد؛ يمكن أن تُورّث "الديون الأخلاقية" عبر الأجيال.

5. المعالج كوسيط أخلاقي

دوره ليس فقط ميسّرًا للتفاعل، بل أيضًا شاهدًا للعدالة يساعد الأطراف على رؤية ما هو منصف وما هو ظالم.

سابعاً: أدوات وأساليب العلاج السياقي

1. رسم "**دفتر العطاء والأخذ (Ledger Mapping)** "

المعالج يساعد الأسرة على تحديد من أعطى ماذا؟ من تلقى؟ من يشعر بالظلم؟

الهدف هو رؤية الصورة الأخلاقية الكاملة دون اتهام مباشر.

2. **استعادة العدالة (Restitution)**

مساعدة الأفراد على ردّ الديون الأخلاقية بطريقة بنّاءة (اعتذار، اعتراف، إصلاح العلاقة).

3.التحليل عبر الأجيال(Intergenerational Exploration)

فهم كيف انتقلت الأنماط والديون من الآباء إلى الأبناء.

4.الاعتراف المتبادل(Acknowledgement Process)

تشجيع كل طرف على التعبير عن ما يقدّره في الآخر وما يشعر أنه لم يُقدَّر فيه.

هذا يعيد بناء الثقة ويخفف العدوان أو الذنب.

5.التوجيه الأخلاقي

المعالج يُذكّر أفراد الأسرة بواجباتهم وحقوقهم الأخلاقية.

تاسعاً: أهداف العلاج السياقي

المستوى	الهدف
الفردي	تخفيف الشعور بالذنب أو الغضب الناتج عن الظلم العائلي.
العائلي	ترميم العدالة والثقة بين أفراد الأسرة.
الجيلي	وقف انتقال الديون الأخلاقية غير المسدّدة إلى الأجيال التالية.
الأخلاقي	بناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل والإنصاف.

عاشراً: دور المعالج في المدرسة السياقية

المعالج هنا ليس مراقبًا أو منسقًا فحسب، بل هو:

–شاهد للعدالة(Witness to Fairness)

–وسيط في إعادة الثقة بين الأطراف

–موجّه نحو المسؤولية بدل اللوم

–يساعد الأسرة على رؤية المعاني الأخلاقية خلف سلوكهم